

تأزم العلاقات الزوجية في الأسرة الجزائرية كمتغير مهيكّل لظهور وانتشار العنف الجسدي ضدّ الأبناء

الدكتورة: بن قاسمي ضاوية

جامعة التكوين المتواصل

البريد الإلكتروني dbenguesmi@hotmail.com

ملخص

تعتبر الأسرة من النظم الاجتماعية الأساسية والجماعات الأولية وأكثر وسائل الضبط الاجتماعي فعالية وترجع أهمية الأسرة إلى الوظائف العديدة التي تؤديها لكل عضو من أعضائها والأسرة الجزائرية باعتبارها النواة الأساسية في المجتمع عرفت تغييراً في شكلها حيث انتقلت من الأسرة الممتدة إلى الأسرة النووية و لكن ليس بشكل نهائي، ولقد تعرضت بعض الأسر الجزائرية إلى تأزم في العلاقات بين الزوجين الأمر الذي انعكس على بنيتها ووظيفتها التربوية ونتج عن هذا التأزم شجارات مستمرة بين الزوجين وامتدّ إلى إقحام الأبناء في هذه الشجارات ومعاملتهم بالقسوة أو الإيذاء البدني .

ويعتبر عقاب الأطفال وسيلة ضبط عادية وظاهرة موجودة منذ القدم في المجتمع الجزائري كبقية المجتمعات الأخرى، وكانت تعالج آثاره داخل الأسرة وفي إطار العلاقات القربانية، لكن حالات التأزم الأسري من تفكك أسري أو طلاق أو سوء العلاقات بين الزوجين وتعرّض الأبناء إلى العنف بشتى أنواعه، دفع ببعض الأسر إلى اللجوء إلى المؤسسات القضائية لحلّ نزاعاتها، هذه الوضعية كشفت الترابط ما بين تأزم العلاقات بين الزوجين وتعرّض أبناء هذه الأسر إلى العنف الجسدي ولجوء أحد الوالدين للمؤسسات الاجتماعية من أجل الإبلاغ باستعمال الطفل كاستراتيجية في حل النزاعات الناتجة عن هذه الوضعية.

وسنحاول في هذه الدراسة التطرّق إلى الأبعاد المختلفة التي أخذها العنف الممارس على مستوى الأسرة، وهذا بدراسة تطور هذه الظاهرة و الوقوف على أشكال الرعاية الصحية والقانونية والمؤسسية التي تتطلبها ذلك.

Résumé :

La famille est le système social important dans chaque société, elle est considérée comme l'un des moyens les plus efficaces de contrôle social, en raison des nombreuses fonctions importantes exercées par chacun de ses membres. La famille algérienne a connu un changement dans sa forme, elle est donc passée de la famille élargie à la famille nucléaire, mais pas de façon permanente. Toutefois, certaines familles algériennes ont subi une relation tendue entre le couple qui a secoué l'entité familiale dans sa structure et sa fonction éducative et qui a donné lieu à une mal entente continue entre le couple même jusqu'au divorce, cette situation a prolongé l'implication des enfants dans ces querelles, d'où la relation s'est caractérisée par un traitement sévère ou d'abus physique envers leurs enfants.

La punition des enfants est considérée parmi des moyens de contrôle normal, ce phénomène existait depuis les temps anciens dans la société algérienne, comme le reste des autres communautés. Le traitement des conséquences de cette punition s'effectuait au sein de la famille et dans le cadre des relations de parenté, mais les cas de crise intérieure et la désintégration de la famille (divorce ou mauvaises relations entre le couple) et l'exposition des enfants par l'un des parents à la violence de divers types, ont poussé certaines familles à recourir à des institutions judiciaires pour résoudre leurs conflits. Cette situation a révélé une corrélation entre la dégradation des relations entre les conjoints et les enfants de ces familles victimes de violence physique et a démontré que l'enfant n'est qu'une stratégie pour résoudre les litiges découlant de cette situation.

Dans cette étude, nous allons essayer d'aborder les différentes dimensions de la violence au niveau des ménages, en étudiant l'évolution, l'impact de ce phénomène et les différentes formes de sa prise en charge.

1- الإشكالية

يؤدّي تآزّم العلاقات الزوجية وما ينجر عليه من شجار أو انفصال أو طلاق في الغالب إلى عدم وجود التماسك الأسري وإنحراف العلاقات الأسرية، حيث تؤثر مباشرة على الأطفال وتحرمهم من الإستقرار العائلي، ومن عواطف الأبوين.

فالأطفال الذين يعيشون داخل أسرة مضطربة العلاقات والقائمة على عدم توافق بين الأب والأم والتي تقدّم للأطفال يومياً مساح مختلفة من العنف المعنوي والمادي من شجارات وخصامات والتي بدورها تؤثر تأثيراً مباشراً وسلبياً، يكون الطفل ضحية هذه الصراعات وقد يتعرّض إلى العنف من طرف أحد والديه ويتدخل الطرف الآخر من أجل حمايته ويجد الطفل نفسه ضحية سوء علاقة والديه، ولقد جاء اهتمامنا لهذه الظاهرة نتيجة للملاحظات المسجلة خلال البحث الإستطلاعي في مصالح الطب الشرعي والتي كشفت خطورة هذه الظاهرة على الأطفال جسدياً ونفسياً حيث لاحظنا تردّد أحد الوالدين الأب أو الأم إلى مصلحة الطب الشرعي بالقبة مع الطفل الذي تعرّض للعنف من طرف الأب أو الأم وهذا للحصول على شهادة طبية ولمّا استفسرنا عن الأمر وجدنا أنّ معظم والدي هاته الحالات تميزها علاقات زوجية متأزمة.

تشير الكثير من المعطيات إلى تزايد تفشي هذه الظاهرة وانتشارها المستمر وخروجها للعلن وهذا باقحام مؤسسات عمومية كالطب الشرعي والقضاء من أجل التدخل في حلّ النزاعات العائلية وحماية الأطفال من عنف والديهم. ولهذا سوف نحاول كشف القناع عن ظاهرة مرضية كانت ومازالت من التابوهات خاصة وأنّها تمس الأسرة الجزائرية أي المؤسسة الأولى لعملية التنشئة الإجتماعية للأطفال.

ومن هذا المنطلق نتساءل حول إنتشار ممارسة العنف الجسدي ضدّ الأبناء في عدد من الأسر الجزائرية كنتيجة لأثر التحولات التي تشهدها المؤسسة العائلية على مستوى العلاقات بين أفرادها وهذا ما يعكسه زيادة نسبة الطلاق في المجتمع الجزائري (وزارة العدل الجزائرية، 2007) إلى جانب ظواهر أخرى كالانحراف، كما أثّرت هذه التحولات على أدوار الوالدين في عملية التربية التي أصبح يطغى عليها الطابع السلطوي الذي لا يسمح لأعضاء الأسرة في التواصل والمشاركة في اتخاذ القرارات ولا يوفّر شروط الإتصال بين الوالدين وأبنائهم.

كما نتساءل حول ممارسة العنف الجسدي ضدّ الأبناء كظاهرة أسرية تتمّ معالجة آثارها على مستوى المؤسسات الإجتماعية كالطب والشرطة والمحاكم، حيث تستعمل نتائج هذه الممارسة (شهادات طبية شرعية، سماع الشهود...) كأدوات ضغط من طرف أحد الوالدين على الآخر في إطار الطلاق من أجل

الحصول على حقوق قانونية (الحضانة أو النفقة) يصعب الحصول عليها دون ذلك، ويصبح بذلك الطفل رهينة وأداة في هذا الصراع، وهذا مؤشّر يدلّ على تحوّل هذه الظاهرة من أداة تربية إلى ظاهرة إجتماعية كاشفة لحالات أزمات عائلية.

فهل يمكن القول بأنّ الأسرة أصبحت تفقد دورها في المجتمع وغير قادرة في التحكم في مهامها وأنّ العنف محاولة غير عقلانية للإبقاء على هذا الدور؟ وكيف أثرت التغيرات البنائية والوظائفية للأسرة الجزائرية على نوعية التحكم في إدراج الضرب في الممارسة التربوية؟

ما نوعية العلاقات الزوجية للأسر الممارسة للعنف الجسدي ضدّ أطفالها؟ هل هي مستقرة أو في حالة تأزم أو حالة طلاق أو مطلقة.....؟

2-فرضية الدراسة:

يعتبر تأزم العلاقة بين الزوج والزوجة (خصام مستمر، شجار، حالة طلاق، طلاق...) عاملاً فعالاً في ممارسة أحد الوالدين للعنف الجسدي ضدّ الطفل.

3- تحديد مفاهيم الدراسة

1-3 العنف العائلي :

يعتبر العنف تخصصاً جديداً في علم الاجتماع هو وجود تخصّص يعرف "بعلم الاجتماع العنف" « Sociologie de la Violence » ويخص العنف العائلي العنف الموجود بين أفراد العائلة، حيث من المعتاد أن تمثّل العائلة حسب نمط متفرّع ثنائي: داخلي وخارجي (Fisher Gustave Nicolas, 1992, p10) . فالنمط الداخلي يعتبر بيت دافئ، وهو مكان للعاطفة بين أفرادها، أمّا النمط الخارجي فيعتبر مكاناً عدوانياً ولا بدّ من الدفاع عن النفس منه، ولقد بيّنت دراسات في علم النفس الاجتماعي والتحليل النفسي حقيقة أخرى وهي أنّ العائلة تتكون من أفراد تسود بينهم علاقات قائمة على مبدأ الحنان والعاطفة، لكن قائمة أيضاً على الرفض، إذن هناك مكانا أين يوجد العنف ويظهر، وبالتحديد ففي العائلة يُكتشف عادة وللمرّة الأولى العنف ويُحتَمَل ضرره.

"هيجل" هو من قال عندما يجتمع الرجل بالمرأة يظهر كل لحظة أين تتوقف أن تكون الحرية داخلية وفردية ويعتبر الطفل ثمرة هذا الزواج، ويضيف أنّ العنف يبرز في حالة القطيعة بين الزوجين، وفي هذه الحالة يفترق الزوجين ويبقى كل

واحد منهما والدا للطفل (Violence et justice, N° 24-25, 1973, P.25) ، ونجد "ماركس" أكد أفكار "هيجل" إذ قال بأنّ العائلة ضرورة أولية كلّما كانت لها قيمة كان للمجتمع قيمة (Violence et justice, N° 24-25, 1973, P.25) كما يرى "أوغست كونت" أنّ حبّ الأم لطفلها وحبّ الطفل لأمه عنصران أساسيان للنمو. وتشير الأبحاث إلى تنامي ظاهرة العنف في عالمنا أكثر بعالم الأمس حيث تغيّرت طبيعة الصراعات وأصبحت مرتسمة في العائلة هذا ما أدّى إلى بروز العنف العائلي الذي عرف انتشارا واسعا في السنوات الأخيرة رغم الجهود الإنسانية للحدّ منه ويرجع الباحثين سبب تزايدهِ إلى التقدّم التكنولوجي (Romer Jean Claude, du 20 au 22 septembre 1997, p.55).

2-3 مفهوم الأسرة :

تعتبر الأسرة نظام إجتماعي يملّيه عقل المجتمع وتتحكم فيه إرادته كما أنّ نظامها يرتبط ارتباطا وثيقا بمعتقدات المجتمع وتقاليده وتاريخه وعرفه الخلقي و ما يسير عليه من نظم في شؤون السياسة والإقتصاد والتربية والقضاء، وبذلك كانت الأسرة نتاجا إجتماعيا يعكس صورة المجتمع الذي توجد فيه، فإذا إتصف المجتمع بالثبات إتصفت الأسرة بالثبات، وإذا إتصفت بالحراك والتطور تغيّرت الأسرة بتغير ظروف تطور هذا المجتمع (Boutefnouchet (Mostefa), 1982, P19). ورغم كل إختلاف العلماء المختصين في محاولة إعطاء تعريف شامل للأسرة، إلّا أنّهم يشتركون في أنّ جميع الناس في كل المجتمعات في الماضي والحاضر ولدوا وتربوا في أسرة تتكون كل منها في مجموعها من ثلاثة أعضاء على الأقل ينتمون إلى جيلين فقط (جيل الآباء والأبناء) (الخولي (سناء)، 1983، ص.51).

وتعدّ الأسرة نظاما إجتماعيا يؤثر في النظم الإجتماعية الأخرى، ويتأثر بها فإذا كان النظام الأسري في مجتمع ما منحلّا وفاسداً فإنّ هذا الفساد ينعكس على وضعه السياسي وإنتاجه الإقتصادي ومعاييره الأخلاقية وكذلك إذا كان النظام الإقتصادي أو السياسي فاسداً ، فإنّ هذا الفساد يؤثّر في مستوى معيشة الأسرة، وفي خلقها وفي تماسكها (الخشاب (مصطفى)، 1981، ص.15).

إذ أنّنا غالباً ما نجد النظام الأسري في المجتمعات غير المستقرة أو المتخلّفة إقتصاديا وسياسياً معرضاً للانحرافات الشاذة كالتسوّل و جرائم الأحداث و التوثر

العائلي وكثرة حالات الطلاق، حيث لا تنال الأسرة من الدولة أية رعاية إجتماعية تقيها من أمراضها (الخشاب (مصطفى)، نفس المرجع السابق، ص.46).

ويبدو أنّ العائلة في تركيبها المعاصر قد فقدت الكثير من وظائفها التقليدية التي عرفتها خلال عصور طويلة، فقد تعرضت لتغيرات كبيرة وعميقة تناولت كيانها ووظائفها على حدّ سواء، ففقدت غالبية وظائفها الإقتصادية والإجتماعية و السياسية و التربوية و الدينية و الترويحية. و مع كل هذا فهي لم تفقد بعد دورها الأساسي في حضانة الطفل أو في رعايته خلال أهم مرحلة من مراحل نموّه الجسدي و النفسي و الوجداني (الدوري (عدنان)، 1973، ص.289).

3-3 التآزم الأسري :

إنّ إستعمال كلمة تآزم أسري نعني به سوء العلاقات الزوجية الناتجة عن عجز الأسرة في عدم قدرتها بالقيام بتربية نسلها، وهذا ما يطرأ على كيانها من خلل يشوه دورها و يعرف أيضاً بالتفكك الأسري.

والتفكك الأسري يعني "إنهيار وحدة الأسرة و الإفتقار إلى إجماع الرأي فيها، وعدم قيامها بالوظائف المقررة إجتماعياً" (مذكور (إبراهيم)، 1975، ص 168). و التآزم الأسري قد يكون مادياً أو معنوياً.

فالتآزم الأسري المادي يعني غياب الوالدين معاً، او غياب أحدهما لأسباب عديدة مثل الموت، الهجرة و الطلاق (الدوري (عدنان)، 1973، ص 243) وبهذه الصورة يتقلص دور الأسرة في تربية أطفالها، ويحرم من مصدر هام من مصادر تهذيبه وتقويمه.

أمّا التآزم الأسري المعنوي: فيعني به نشوب شجار دائم بين الوالدين، و يكون أحدهما أو كلاهما قدوة سيئة للأبناء، كإدمان الأب أو الأم على المخدرات، و في جميع هذه الحالات تكون العناية بالأبناء و تهذيبهم و إرشادهم و توجيههم مهمة (الدوري (عدنان)، نفس المرجع ، ص 243) ، وقد يعامل أحد الوالدين أو كلاهما الأبناء بقسوة فيتولّد لديهم الشعور بالحرمان والحقد و الكراهية، ممّا يؤدي أنّ المشاجرة قد تصل إلى ذورتها و تشمل العنف و الإيذاء البدني، وقد يكون المظهر الأساسي للمشاجرات الأبوية من خصائص إنفعالية مثيرة فالأم التي يضربها زوجها تستطيع بدورها أن تضرب الطفل الذي يمثل صورة الأب المعتدي، وبهذا يفقد بعض الأطفال إحترامهم للأباء المتشاجرين و إفتقاد الثقة فيهم (محمود (حسن)،

1981، ص290) لذا يجب تجنب النقاش والجدال في حضور الأبناء ليس لسبب المثل السيء فحسب بل كذلك لأسباب أخرى، فهناك حالات من اللاتفاهم كالطلاق الذي قد يكون الحل الوحيد للتخلص من المشاكل الزوجية لكن له تبعات خطيرة تنعكس سلبا على مصير الأبناء بعد الطلاق.

4- المنهجية المستعملة في البحث :

1-4 ميدان البحث

أجرينا دراستنا الميدانية في مصلحة الطب الشرعي لمستشفى بشير منتوري بالقبة قمنا فيها بدراسة مسحية للملفات الإدارية لهؤلاء الأطفال بالاضافة الى معاينة المبحوثين شخصيا باتباع وسيلة الملاحظة المباشرة والمتبوعة بمقابلات نصف موجهة بالإضافة إلى استقبال الحالات.

2-4 عينة البحث :

أما عن عينة البحث فهي مشكلة من الحالات التي تعالج على مستوى مصلحة الطب الشرعي لمستشفى القبة لكن من بين الحالات التي تمت مقابلتها والتي تتوافق مع شروط بحثنا حيث اقتصرنا على 30 حالة فئة سنّ تتراوح ما بين 6 و18 سنة للجنسين، و سبب اختيار هذه الفئة هو أنها باستطاعتها الإجابة و التعبير.

3-4 التقنيات :

التقنية المستعملة في هذا البحث هي تقنية الملاحظة المباشرة و المقابلة نصف الموجهة لأنّ هاتين التقنيتين تسمحا لنا بالإقتراب أكثر من الأطفال ضحايا العنف الجسدي موضوع البحث و الوقوف على مختلف الجوانب الخاصة بهذه الظاهرة ولقد أخذنا إجابات المبحوثين بالدّرجة وكما جاءت على لسانهم. وفي تحليل محتوى المقابلات إستخدمنا تقنية تحليل المحتوى تحليل فئوي حيث إستخرجنا أصناف من الأجوبة ثم قمنا بتفريغها في جدول ، بعد هذا إستخرجنا وحدات الأجوبة ، أي تقليص أصناف الأجوبة إلى وحدات أساسية لإجتناّب تكرار نفس الأجوبة، بعد تحديد الوحدات قمنا بصياغة الفئات حيث جمعنا الوحدات التي تهدف إلى نفس الفكرة تحت عنوان معين، وفيمايلي سوف نتطرق إلى جدولي تفريغ الأجوبة أما جداول الفئات فوضعناها.

5- عرض ومناقشة نتائج الدراسة:

تحليل محتوى المقابلات: تحليل المقابلات التي أجريتها مع المبحوثين في إطار تحليل الفرضية سمح لنا بإبراز أربعة محاور متعلقة بالعلاقة اللاجدلية التي تربط تأزم العلاقات الزوجية وممارسة العنف الجسدي في تربية الأطفال.

جدول رقم 01 : فئات خاصة بأسباب ممارسة العنف الجسدي :

النسبة	التكرار	تكرار المحتوى	محتوى الفئة	الفئة
68,43 %	26	2	هي تخرج تخدم و تخلي خاوتي صغار	أسباب ممارسة العنف الجسدي المحدد والمعلن عنه
		1	تقولي عسي خاوتك واغسلي حوايجهم	
		1	كي بكيت كي جات خارجة	
		1	قالتلي لكان ما تسكتيش نقتلك	
		2	هو دايما يضرب يما و يضربني معها	
		1	لا خطر يتنارف و يفرغ زعافو فنا وفي يما	
		1	كل ما تز عف مع بابا	
		1	ضربني وقال علماتك يماك طبابع خامجين	
		1	هي تخرج و أنا لازم نعس خاوتي	
		1	كي بجي إيصبني برى يضربني	
		1	تقوللي لكان ما شي انتوما راني في دار خير من هدي	
		1	تعيط عليا قدام الجيران و تقول لي روح تشري و تضربني	
		1	هذ المرة خبطتلي راسي مع البنك بعدما ضاربت مع بابا	
		1	ضربتني و قالت لي سرقتي الدراهم devise (العملة الصعبة)	
		1	تضربني كي تضرب خاوتي	
		1	كي بجي منارفي من الزنقة	
		1	يضربني لا خطر معاود الزواج	
		1	يضربني على جال la télévision (التلفزيون)	
		1	يضربني بابا أنا و يما كي يكون شربان	
		1	يضربني كنفولو إيدينا لعند يما (زوجين مطلقين)	
		1	كي نسلك خاوتي لاخطر ما نحيش كي يضربهم و هو شربان	
		1	تضربني لاخطر نشبه لبابا اللي طلقها	
		1	تضربني كي ما نخمش شغل الدار وما نعش خاوتي	
		1	تقولي اطلبوا في الزنقة كي ما نحبوش تضربنا لاخطر بابا طلقها	

31,57 %	12	1	يضر بني بلا سبة و يحوس سبة باش يضر بني	عدم
		1	عيط عليا و قالى فشائك يماك وضر بني بلا سبة	معرفة
		3	تضر بني بلا سبة كل ما تزعف مع بابا	الطفل
		4	دايماً تضر بني بلا سبة	لأسباب
		1	يضر بني بابا و خويا بلا سبة	ممارسة
		1	يضر بني بلا سبة وكي يجي يدينا ما نحبوش نروحو معاه	العنف
		1	بلا سبة لا خاطر نحب يما إلى يضر بها بزاف كي يجي شربان	الجسدي ضدّه
100%	38	38	المجموع	

المحور الأول : يشمل مجموعة من الأسباب المدركة من طرف الطفل " الضحية"، وقد أدرجناها ضمن فئتين :

أ - أسباب ممارسة العنف الجسدي نتيجة لتأزم العلاقات بين الزوجين :

هذه الفئة هي عبارة عن مجموعة من الأفكار المتعلقة بأسباب مدركة و محددة من طرف الأطفال "الضحايا" بنسبة 68,43 % بحساب تكرار هذه الأفكار، كما يبين بأنّه بفعل تأزم العلاقات الزوجية فإن الإقدام على ممارسة العنف الجسدي، و يكون أكثر من طرف الأب إذ أن 60 % من هذه التكرارات تحدد الأب كممارس للعنف، وهذا ما تلخّصه تكرار عبارة " كل يوم الضرب يعرف غير يضرّب"، أمّا ممارسة العنف الجسدي من طرف الأم فإنّ 40 % من التكرارات تحدّدّها كممارسة لهذه الظاهرة، يبيّن محتوى التكرارات بأن الطفل يربط أسباب ممارسة العنف الجسدي عليه بالجو الأسري الذي يعيش فيه وهذا ما نجده في العبارة المتكرّرة " يضرّب يما ويضرّبني معاه"، أي أنّ الضحية ضربت بسبب ضرب الأب للأم عند حدوث خلاف بين الوالدين، وهنا عند مقارنة محتوى التكرارات ونتائج دراسة ملفات هذه الحالات تبين لنا أن المؤثرات الداخلية للأسرة كالحالة الزوجية للوالدين الحالات التالية : 3 أولياء غير مطلّقين، 18 مطلّقين، 9 منفصلين، وهذا ينعكس بالسلب على الطفل وعلى تربيته، فيجد نفسه يعيش في جملة من المشاكل اليومية التي تحدث بين الوالدين من شجارات مستمرة، والتي تجعل البيت مكاناً لا يطاق وهذا ما يؤدي إلى إهمال الوالدين للبيت و كذلك الأطفال، وبالتالي يتحوّل البيت إلى نزل للنوم و مطعم بالنسبة للأب، و تبقى بذلك تربية الأطفال للأم فقط، ويفقد الأب دوره في التربية، نجد هذا في قول الطفل "كي يجي منارفي من الزنقة

يضرّبي"، كما تعتبر الأمّ الأبناء سبباً في تعاستها "تضرّبي لخطر نشبه لبابا إلّي طلقها (لأنّني أشبه أبي الذي طلقها)"، وفي حالة أخرى تقول الأم للطفل "لكان ماشي أنتوما راني في دارخير من هاذي".

هذه الوضعية تؤدي إلى شعور الطفل بأنّ سبب ممارسة العنف الجسدي عليه نتيجة مشاكل ما بين الوالدين يظهر في مشكل كراهية الوالدين له إذ جاء في عدد من الأفكار المتكررة " يما وبابا يضرّبونا وما يحبوناش"، " déjà هما ماشي متفاهمين"، أي أنّ عدم تفاهم الوالدين عاملاً لرفض الأطفال و ممارسة العنف الجسدي ضدهم إنتقاماً لبعضهما البعض عن طريق الطفل، وفي حالات أخرى يكون الوالدين منفصلين نجد أنّ الطفل في هذه الحالة لا يستقرّ على تربية واحدة و واضحة، حيث نجده متنقلاً بين الأب والأم يتلقّى عندهما تربية مختلفة، طرف متساهل وآخر متشدّد، وكل طرف ينتقد تربية الطرف الثاني وهذا ما نجده ملخصاً في قول الأب للطفل " علماتك يمالك طبايح فاسدين ما شي ملاح".

إذا حاولنا ربط تكرار أسباب ممارسة العنف الجسدي بمتغيرات أخرى محددة بنوعية الظروف المعيشية لأسر الحالات المدروسة، فإنّنا نلاحظ أنّ كل الحالات تقطن أحياء العاصمة : باش جراح، جسر قسنطينة، القبة، الحراش وحسين داي، حيث وجدنا أن هذه الممارسة موجودة في كل الأحياء شعبية كانت أم راقية تقول الفتاة : " زعما ingénieur وتسكن في حيدرة وتضرّب".

أمّا عن نوع المسكن فيبدو كذلك أنّه لا يشكّل عاملاً لتفسير ممارسة العنف الجسدي، عدا أنّنا لاحظنا أن الحالات المدروسة والممارسة للعنف تتوزّع على حالات متنوعة : 6 تسكن في فيلا ذات 5 غرف، 16 بدون مسكن خاص (عن طريق الكراء أو عند الأهل) ، و 8 في شقة بين غرفة و 4 غرف. أما حجم المسكن فيبدو أنّ له علاقة وطيدة بظهور المشاكل في العلاقات الزوجية، و بالتالي ممارسة العنف الجسدي ضد الأطفال فلقد تبينّ لنا وجود عدد كبير من أفراد الأسرة في منزل صغير يصل عدد الأفراد بين 4 و 9 أفراد، ويتّضح لنا بأنّ نوع السكن لا يتماشى مع عدد أفراد الأسرة.

كما أنّ تآزم العلاقات الزوجية تتجسّد آثارها في إهمال مادي للأطفال وفي مصاريف غير مفيدة، وهذا ما تلخّصه الفكرة المكررة والقائلة : « مايصرفش علينا ويدخل البارابول بلا فائدة»، وقد يدفع هذا الإهمال المادي الناتج سواء بانفصال

والوالدين أو الدخل القليل للأب أو الإهمال المادي للأطفال من طرف الأب، وهذا ما دفع بالأم للعمل خارج البيت وبالتالي إهمالها للشؤون المنزلية وتحميل الطفل خاصة البنت مسؤولية البيت واختها كقول الطفل « تقول لي يمّا عسّي خاوتك واغسلي حوايجهم ». زيادة على ذلك تدخل عوامل أخرى كالكحول والمخدرات التي يتعاطاها الأب فقط حسب تصريحات الأطفال، والتي تؤثر عليه في علاقته بأسرته، وغالباً ما يكون سبباً في الطلاق، مثلاً : « يضربني بابا أنا و يمّا (أمي) كي يكون شربان (في حالة سكر) ». « يمّا يضربها بزاف كي يكون شربان » إضافة إلى تأثير العمل و الشجارات خارج البيت والتي ينقلها ويربطها بعلاقته مع أسرته، مثلاً: « كي يعي منارفي (قلق) من الزنقة (الشارع) يضربنا ».

تأزم العلاقات الزوجية يكون لها آثار مختلفة فحدوث الطلاق و زواج أحد الطرفين و إهمال الوالدين الحقيقيين لأطفالهما، أو رفض الطفل السابق لأحد الزوجين، يمكن أن يؤدي إلى ممارسة العنف الجسدي كقول الطفل « يضربني لخطر معاود الزواج » أي أنّ هنا يضرب الطفل بسبب دخول عنصر غريب في تربيته و هي زوجة الأب من خلال هذه الإجابات المعلنة عن سبب ممارسة العنف الجسدي نلاحظ أن الطفل ربطها بأنواع تأزم العلاقات بين والديه من شجار، طلاق، إعادة زواج أحدهما....

ب- جهل الطفل لأسباب ممارسة العنف الجسدي :

الأجوبة المتكررة التي تعلن عن وجود ممارسة جسدية دون التمكن من تحديد أسبابها بدقة جاءت بنسبة % 31,57 ، وتظهر في إجابات مثل : « يضربني بلا سبب باش يضربني »، أي أنّ الأسباب المعلنة آنفاً في الفئة الأولى هي أسباب غير معلن عنها في هذه الفئة، إلا أنّ الطفل يجهلها و غير قادر على تحديدها، و تتمثل في تأزم العلاقة الزوجية، وتأثير بعض العوامل الاجتماعية، زيادة على ذلك فإن عامل سنّ الطفل يدخل في عدم إدراكه للمشاكل الموجودة بين الوالدين، خصوصاً إذا كان صغيراً، ويكون بالتالي ضحية العلاقة المتأزمة بين الوالدين.

المحور الثاني : علاقة الطفل بوالديه

يتضمّن مجموعة من الأفكار المتكررة حول أثر تأزم العلاقات الزوجية و ما نتج عنه

من ممارسة جسدية ضد الأطفال على تصوّر هؤلاء "الضحايا لعلاقاتهم مع أوليائهم ويمكن التمييز ما بين فئتين من الأفكار.

جدول رقم 02 : علاقة الطفل بوالديه و مدى رغبته في الانفصال عنهما:

النسبة	التكرار	تكرار المحتوى	محتوى الفئة	الفئة
55%	11	1 2 1 1 2 1 1 1 1	حتىّ يما تخاف يطلقها ماشي تخاف علينا. بابا و يما يضربونا ما يحبوناش يما عمرها ما حبتني حتى خاوتي ما تحبهمش تضربهم. ما نتفاهمش قاع معاهم. d'èz هما ماشي متفاهمين بابا ما نحملوش، خلانا صغار وراح يعيش مع مارتو. بابا مانحملوش نكرهو ما نحبوش كي يجي سكران لخطر يعايروني به الجيران دارلنا les problèmes مانحبش يما اللي تضربنا	علاقة الطفل بوالديه خاصة مع ممارس العنف الجسدي عليه
45 %		1 1 2 1 1 1 1 1	لكان نصيب ما نعيش معاهم إيه ما نحبش نعيش معاهم لكان غير يروح بابا ويخلينا مع يما bien sur لكان غير نرجع عند يما ما نسحقوش بابا كي كان في الحبس خير نتمى لوكان غير تروح علينا وتخلينا نحب نعيش وحدي bien sur	مدى رغبة الطفل في الانفصال عن والديه خاصة ممارس العنف الجسدي عليه
100%	20	20	المجموع	

أ- علاقة الطفل بوالديه :

هذه الفئة تضم مجموعة من تصورات الأطفال "ضحايا" العنف الجسدي لعلاقاتهم مع والديهم، وهذه العلاقات هي عبارة عن إهمال و تخلي لمن له الرعاية المادية و المعنوية على الطفل، وهذا بسبب انفصال الوالدين أو خوف أحدهما من الانفصال، وخاصة الأم التي تخاف من الطلاق كما نلاحظه في الفكرة الملخصة للتكرارات و القائلة : " يما تخاف يطلقها ماشي تخاف علينا". كما يفسّر سبب العنف الجسدي برفض الوالدين للأطفال و نجد هذا في تعبير الطفل : " بابا و يما يضربونا وما يحبوناش" فشعور الطفل بتخلي الوالدين عن العناية و الإهتمام به قد يصل في تصوّره إلى درجة الشعور بكون الوالدين يرفضان وجود الأبناء،

وخاصة عند حدوث زواج ثاني ووجود إخوة نجد هذا في الفكرة المكررة : " بابا ما نعملوش، خلانا صغار وراح يعيش مع مارتو"، أهمية أفكار هذه الفئة التي تمثل 55 % من تكرارات المحور تبين لنا أنّ تأزم العلاقات الزوجية لا تسبب فقط عنفاً جسدياً و إنّما كذلك إهمالاً و تخلياً عن مسؤولية تربية الأطفال و هذا ما يؤدي إلى تزايد رغبة الطفل في الانفصال عن الوالدين كما نلاحظ ذلك في الفئة الثانية.

ب - مدى رغبة الطفل في الانفصال عن والديه :

تمثل تكرارات هذه الفئة بنسبة 45 % من مجموع تكرارات المحور الثاني، و نجد أنّ الرغبة في الانفصال و الإستقلال المادي عن الوالدين يتحدد في فئة سن من 13 إلى 16 سنة، و يبدو ذلك واضحاً في عبارات مثل "نحب نعيش وحدي Bien sur"، لأنّ الطفل يحسّ بأنّه مسؤول على نفسه على الأقلّ حينما ينفصل عن الطرف الذي يمارس عليه العنف الجسدي، وهذا ما يبدو في أنّ الانفصال قد يكون عن أحد الوالدين و الميل و تفضيل طرف عن آخر : "لكان خير نرجع عند يما"، و "لكان غير يروح علينا بابا و يخلينا" علماً أنّ الأب هو الذي يمارس العنف الجسدي بكثرة و خلال الأجوبة المتكررة نجد أنّ الطفل يرغب في الانفصال خاصة عن الأب.

المحور الثالث : حالة و عي ممارس العنف الجسدي

يحتوي على فئتين من الأفكار المتعلقة بظروف إقدام الوالدين على ممارسة العنف الجسدي ضد أطفالهم : أي حالات طبيعية، و غير طبيعية (شرب كحول، مخدرات...) نوضّح هذا في الجدول التالي :

جدول رقم 03: ظروف إقدام الوالدين على ممارسة العنف الجسدي ضد الأطفال

النسبة	التكرار	تكرار المحتوى	محتوى	الفئة
90 %	27	5	normal عندو كي يضربني	حالة و عي ممارس العنف الجسدي عادية
		5	مداري يضربني هو لالاس به	
		3	كل ما تزغف مع بابا تضربني	
		6	يضربني كي يتنارقي يفرغ زعافو فينا	
		8	كي يضارب مع يما يضربني	
10%	3	2	كي يجي شربان	حالة و عي ممارس العنف الجسدي تحت تأثير العوامل الخارجية (كحول، مخدرات)
		1	كي يزطل	
100 %	30	10	المجموع	

أ - حالة وعي ممارس العنف الجسدي (طبيعية) :

هذه الفئة تكشف حالة الوعي الطبيعية التي يكون فيها ممارس العنف الجسدي ضد الأطفال عند قيامه بهذا الفعل، و التي وجدناها تمثل بنسبة 90 % من التكرارات، هذا يعني أنّ الوالد مارس العنف الجسدي على الطفل بوعي ودون تأثير خارجي ماعدا الظروف التي تشمل التعب و الشجارات و الخلافات خارج أو داخل البيت، و تمثل الأفكار الخاصّة بهذه الوضعية من تكرارات المحور تلخصها عبارات مثل : " normal عندو كي يضربنا" و " مداري يضربني هو لابس به"، من هنا يمكن القول أن الوالدين يمارسان العنف الجسدي ضد الأطفال عمداً، و أنّ هذه الممارسة متكررة وتعبّر عن أزمة في العلاقة ما بينهما ويظهر هذا من خلال كلام الأبناء "كل ما تزغف مع بابا" و"كي يضارب مع يمّا" أي أنّ الطفل يتعرّض الى الضرب كلما يحدث شجار بين الوالدين..

ب- حالة وعي ممارس العنف الجسدي تحت تأثير العوامل الخارجية (كحول مخدرات...) :

هذه الفئة تبين إقدام الوالدين على العنف و هما تحت تأثير عوامل كالخمر و المخدرات أو التدخين، فالأفكار الخاصة بها أقل من الفئة الأولى و تمثل بنسبة 10 % من تكرارات المحور و تتلخص في عبارات مثل : "كي يعي شربان يضربني"، و "كي يزطل"، هذه الحالات لا تظهر إلاّ عند الأب، ومن خلالها نستنتج أنّ عوامل الكحول والمخدرات وحالة المرض العقلي عوامل مساهمة بنسبة معتبرة في خلق التأزم الأسري (كما سبق ذكره في المحور الأول) و الذي يؤدي إلى إنفصال الوالدين وإهمال الأطفال.

أمّا عن حالات الوعي الطبيعية للوالدين الممارسين العنف الجسدي فيمكن إرجاعها إلى دور الأب في الأسرة وتركيز سلطته التي أسندها إياه المجتمع، والذي يسندها بدوره لإبنه الذكر الأكبر.

المحور الرابع: كيفية اللجوء إلى مصلحة الطب الشرعي

يتعلق هذا المحور بكيفية إستعمال الوالدين الطفل "الضحية" كوسيلة للحصول على بعض الأغراض كالطلاق، و الحصول على حضانة الطفل والحقوق القانونية وتدور كل تكرارات المحور في فئة واحدة.

الجدول رقم 04 : كيفية اللجوء إلى مصلحة الطب الشرعي، وإستعمال الطفل "الضحية" للحصول على الطلاق :

النسبة	التكرار	تكرار المحتوى	محتوى الفئة	الفئة
29,64 %	27	8	إشتكى بابا باش يطلقها	كيفية اللجوء إلى مصلحة الطب الشرعي، وإستعمال الطفل "الضحية" للحصول على الطلاق.
33,33 %		9	القضية وصلت للمحكمة	
14,81 %		4	إشتكات بما كي ضربنا بزاف	
22.22 %		6	إشتكيت أنا و بما كي ضربنا بزاف	
100%	27	27	المجموع	

هذه الفئة تخصّ العلاقة الجدلية بين تأزم العلاقات الزوجية وممارسة العنف الجسدي ضد الأطفال من طرف الوالدين، وإستعمال الطفل وسيلة للحصول على الطلاق، فعندما يحدث انفصال مؤقت أو شجار غالبا ما ينتهي بالعنف الجسدي على الأم وعلى الطفل. وغالبا أيضا ما يؤخذ الطفل من طرف الأم إلى الطبيب الشرعي للحصول على شهادة طبية لتقدمها للمحكمة، وكذلك الحال مع الأب، فإذا ضربت الأم الطفل يقوم بنفس الإجراء، فالعبارات الأكثر تعبيراً عن هذه الوضعية وجدناها في إجابات مثل: " إشتكى بابا باش يطلقها" بنسبة 29.64 % هنا يدرك الطفل مكانته بإجابته هذه بأنه وسيلة في يد والديه لطلب أحدهما الطلاق من الطرف الآخر.

وهناك حالات أخرى كان اللجوء إلى ممارسة العنف الجسدي وسيلة للحصول على مبررات تسمح لأحد الزوجين من الحصول على الشروط القضائية اللازمة للطلاق أو الحضانة، حتى وإن إستدعى ذلك أن يضرب الشاكي (طالب الطلاق) بنفسه الطفل للحصول على الطلاق، ولهذا فلقد يحدث أن يستعمل أحد الوالدين الطفل "الضحية" لغرض شخصي، وهو الإنتقام من الطرف الآخر، وليس من أجل حماية وإعفاء الطفل من العنف الجسدي المتكرر وتحسين وضعيته.

6- الاستنتاج العام :

ما يمكن إستخلاصه من خلال تحليل محتوى إجابات أفراد العينة يتّضح جليا بأنّ ممارسة العنف الجسدي ضدّ الأطفال كان نتيجة لتأزم العلاقات الزوجية، إذ تبين أن اللجوء إلى هذه الممارسة هو تعبير عن وضعية عدم توازن في علاقات الأدوار أو حالة أزمة بين الزوجين، كما أنّ إستعمال الطفل الضحية كاستراتيجية لمعالجة العلاقة الزوجية أو للإنتقام من الطرف الآخر. وذلك باللجوء إلى مصلحة الطب الشرعي للإبلاغ

عن العنف حتّى وإن لم يحدث فعلا، ويبقى الطفل هو من يدفع ثمن سوء علاقة والديه:

ففي حالة طلاق الزوجين :

يكون مصير الطفل المقدم إلى مصلحة الطب الشرعي بعد تعرّضه للعنف ما هو إلّا وسيلة في يد أحد الوالدين في حالة الطلاق للانتقام من الطرف الثاني ولهذا فمصيره يبقى معلقا حتى تحلّ مشاكل الزوجين، فإذا تطلّعا يجد نفسه بينهما وقد يتعرّض امرأت عدّة للضرب ليس فقط من الوالد الذي ضربه في المرّة الأولى ولكن من كليهما حسب شهادات الأطباء الشرعيين.

- في حالة استقرار العلاقة بين الزوجين :

أمّا إذا اتفقا الزوجين بعد سوء علاقتهما فإنّ الوالد المشتكي يتنازل عن الشكوى حتّى وإن كانت درجة العنف كبيرة ويعود الطفل الضحية إلى البيت مع والديه وقد يتعرض للضرب لمرات عديدة.

وفي كلتا الحالتين فغالبا ما يهرب الطفل من البيت و يصبح يعيش في الشوارع متشردا يتعاطى المخدرات والكحول ويسرق لأجل الحصول على الأكل والمخدرات. فالأسرة تشكّل مجالا واسعا لممارسة الوالدين العنف على الأبناء هذه الممارسة انعكست سلبا على الأدوار التربوية للوالدين وكشفت بأنّ الوالدين اتخذوا من العنف كأداة لممارسة الوظائف التربوية وكوسيلة لحلّ النزاعات ما بين أعضاء الأسرة.

المراجع باللغة العربية :

- 1-الخولي (سناء)، الأسرة والحياة العائلية، دار النهضة العربية، بيروت، 1983
- 2-الخشّاب (مصطفى)، دراسات في علم الاجتماع العائلي، بيروت، دار النهضة العربية، 1981
- 3-الدوري (عدنان)، أسباب الجريمة وطبيعة السلوك الإجرامي، ط1، جامعة الكويت، الكويت 1973
- 4- وزارة العدل الجزائرية، 2007

المراجع باللغة الاجنبية:

- 1.Fisher GustaveNicolas,La dynamique du social, violence, pouvoir,changement,Duno,Paris,1992
2. Violence et justice, Etude internationale de Psychosociologie criminelle, Colloque de l'association pour le développement du droit mondial, N° 24-25, Paris, 1973
- 3.Romer Jean Claude, La violence dans le monde, Actes du colloque international sur « formes contemporaines de la violence et culture de la paix, avec le concours de l'Unesco et l'OMS, Alger, du 20 au 22 septembre 1997
4. Boutefnouchet Mostefa, La Famille Algérienne, évolution et caractéristiques récentes, SNED Alger, 1980.

